وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وإن كان خاصا في الصورة لأنه عام في المعنى
فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على أن
العالم بالحق يجب عليه إظهاره ويحرم عليه كتمانه وأقيموا الصلاة يعني الصلوات الخمس
بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها وآتوا الزكاة أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم
واركعوا مع الراكعين أي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة
بالركوع لأنه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لأن صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال صلوا صلاة ذات
ركوع فلهذا المعنى أعاده بقوله وأقيموا الصلاة لأن الأول خطاب للكافرين والثاني خطاب لقوم مخصوصين
وهم اليهود وفيه حث على إقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله عز وجل
أتأمرون الناس بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم والبر اسم جامع
لجميع أعمال الخير والطاعة نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه
وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فإن أمره حق وقوله
صدق وقيل إن جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب إن رسولا سيظهر منكم ويدعوكم إلى الحق
وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم
ووبخهم بذلك حيث إنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه
وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك
وتنسون أنفسكم أي تغفلون عما فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول
العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم وأنتم تتلون الكتاب
يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث
على الأفعال الحسنة والإعراض عن الأفعال القبيحة والآثام أفلا تعقلون يعني أنه حق فتتبعونه
والعقل قوة تهيئ قبول العلم وقيل العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول
علي بن أبي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع كما لا
تنفع الشمس وضوء العين ممنوع وأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة يعقل البعير
بالعقال يمنعه من الشرود وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة ومعنى
الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره
عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك أن الإنسان إذا وعظ
غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ
الناس يجب أن يتعظ بموعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سببا لتنفير القلوب
عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل
يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل
النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر
بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه قوله فتندلق أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه
واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة
أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك
يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس
الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن
وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم يا بادئ ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإن انتهت عنه
فأنت حكيم فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم قوله عز وجل
واستعينوا

19

واستعينوا بالصبر والصلاة قيل إن الخطاب للمؤمنين لأن من ينكر الصلاة والصبر
على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من
صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى
غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر ولكن صلاتهم غير
صلاة المؤمنين فعلى هذا القول إن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام
شرعه وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات
وإن ضممتم إلى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول
الأول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم إلى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل
على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن المعاصي وعن سائر اللذات وفيه إفناء النفس
والصلاة أي أجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها
من تصحيح النية وإحضار القلب ومراعاة الأركان والآداب مع الخشوع والخشية فإن من اشتغل بالصلاة
ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة أي إذا أهمه أمر لجأ إلى الصلاة
عن ابن عباس أنه نعي له أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى إلى الطريق فصلى ركعتين أطال
فيهما السجود ثم قام إلى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة وإنها يعني الصلاة وقيل الاستعانة
لكبيرة أي لثقيلة إلا على الخاشعين يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله
وأصل الخشوع السكون والخاشع ساكن إلى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل في الجوارح
وإنما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لأن من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي
ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه الذين يظنون
أي يستيقنون وقيل يعلمون أنهم ملاقو ربهم يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في
الآخرة وأنهم إليه راجعون يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم قوله عز وجل يا بني إسرائيل
اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من
ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وأني فضلتكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل
وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء واتقوا يوما أي واخشوا عذاب يوم لا تجزي
أي لا تقضي نفس عن نفس شيئا يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة
ولا ترد عنها شيئا مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ولا يقبل منها شفاعة أي في
ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة إذا كانت النفس كافرة وذلك أن اليهود قالوا يشفع
لنا آباؤنا فرد الله عليهم بقوله ولا يقبل منها شفاعة وقيل إن طاعة المطيع لا تقضي عن
العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه أن النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها ولا يؤخذ
منها عدل أي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء ولا هم ينصرون أي لا يمنعون من العذاب قوله
عز وجل وإذ نجيناكم أي اذكروا إذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فعدها نعمة وقت ما عليهم لأنهم
نجوا بنجاة أسلافهم من آل فرعون أي من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر
من القبط ومن العمالقة وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة يسومونكم
أي يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب أي أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في
العذاب مرة هكذا ومرة هكذا وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الأعمال
أصنافا فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يزرعون ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال
وهب كانوا أصنافا في أعمال فرعون والقوة منهم ينحتون السواري من الجبال حتى تقرحت أيديهم
وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة ويبنون له القصور وطائفة

Copyright King Saud University